

الملاحظات

قبل مغادرة حضرة بهاءالله بغداد إلى كردستان بوقت قصير أنزل "لوح كل الطعام" ووجهه إلى الحاج ميرزا كمال الدين من أهل مدينة نراق، حفيد الحاج الملا مهدي الذي كتب شرحاً في استشهاد الإمام الحسين بلغة مؤثرة، ممجداً فضائله، متفجعاً على موته، حتى أن حضرة الباب اغرورقت عيناه بالدموع عندما استمع إلى تلاوة ذلك الشرح وهو سجين في قلعة ماه كوه.

كان الحاج ميرزا كمال الدين رجل علم وثقافة، آمن بالدين البابي على يدي شخص يدعى الملا جعفر، الذي تشرف بمحضر حضرة الباب في كاشان. وسافر الحاج ميرزا كمال الدين إلى بغداد ليقابل ميرزا يحيى -المعروف آنذاك برئيس البابيين- ليستنير من علمه. ولما لم يستطع الوصول إلى ميرزا يحيى، كتب رسالة لحضرة بهاءالله يرجوه فيها سؤال ميرزا يحيى تفسير آية في القرآن الكريم طالما حيرته وهي "كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه".

نقل حضرة بهاءالله الرسالة إلى ميرزا يحيى الذي جاء تفسيره سطحياً قاصراً خيب آمال الحاج كمال الدين تماماً وزعزع إيمانه بالنسبة لميرزا يحيى. عندها توجه

إلى حضرة بهاء الله ورجاه تفسير الآية المذكورة فنزل "لوح كل الطعام" باللغة العربية إجابة على طلبه.

بمجرد أن تسلم الحاج ميرزا كمال الدين اللوح المبارك وتلاه بتمعن، انشرفت نفسه وقويت عزيمته وامتلاً قلبه بنفحة جديدة واستضاءت روحه بنور اليوم الجديد، وفيه وجد ينبوع العلوم وتوصل إلى عرفان مقام صاحبه بأنه "من يظهره الله" فأعلن إيمانه وقدم ولاءه لمولاه الذي حذره من الكشف عن حقيقة ما وجد وأمره بالرجوع إلى بلده نراق ومشاركة الأحياء بهذا اللوح.

فأطاع الحاج وأمضى بقية حياته خادماً لأمر الله بكل عشق وتفان إلى أن توفي عام ١٨٨١م في نراق.

ففي هذا اللوح الذي سبق هجرته إلى كردستان أفصح حضرته عن نيّته مغادرة بغداد، وبث أحزانه وآلامه التي أثقلت كاهله من الذين ادعوا ترويح أمر الله حيث تفضل:

"تموجت علي أبحر الحزن التي لن يقدر أحد أن يشرب قطرة منها، وحزنت بشكل تكاد الروح أن تفارق من جسمي... أن يا كمال، اسمع نداء تلك النملة

الدليلة المطرودة التي خفي في وكره ويريد أن يخرج من بينكم ويغيب عنكم بما اكتسبت أيدي الناس وكان الله شهيدا بيني وبين عباده... فأه آه... لنسيت كل ما شهدت من أول يوم الذي شربت لبن المصفي من ثدي أمي إلى حينئذ بما اكتسبت أيدي الناس".

ويبدو أن الآية القرآنية حول طعام بني إسرائيل قد نزلت ردا على إصرار اليهود بأن أحكام الإسلام بتحريم بعض أنواع الطعام، خلافا لما يدعيه المسلمون، لا تتفق وأحكام اليهودية. وقد شرح حضرة بهاء الله أن لهذه الآية في العوالم الروحانية الإلهية معان لا تحصى ومعظمها فوق إدراك البشر، وأنه قادر على الكشف عن معانيها لسنوات عدة بعلمه الذي أحاط العالمين، وقد فسر بعضا منها مبينا المعنى الروحاني للطعام. وهكذا كشف النقاب عن المدى الشاسع لما تتمتع به عوالم الله الروحانية المنزهة عن العد والحد، والمقدسة عن الفهم والإدراك، من عظمة وبهاء وأسرار خفية، وآفاق واسعة.

ذكر حضرة بهاء الله في لوحه المبارك هذا أربعة من هذه العوالم. وحتى ندرك بعض أسرارها، دعونا نوجه أفكارنا إلى المخلوقات على وجه الأرض. فهناك الممالك المختلفة التي تعيش معا، وكل يسعى إلى تحقيق هدفه. ويمكننا القول بأن الإنسان يعمل في ثلاثة محاور في آن معا. فقياسا بالممالك الأدنى مثل النبات والحيوان فإنه

هو المتفوق والمهيمن، بينما في مملكته عليه أن يعيش مع أقرانه في وئام واتحاد، أما بالنسبة إلى المظاهر الإلهية فهو في رتبة أدنى. ففي مثالنا هذا يمكننا ملاحظة ثلاث مراتب من المواهب والصفات التي يمكن للإنسان أن يتبوأها مع الحفاظ على إنسانيته: الوحدة، العبودية، التفوق.

وهكذا فإن عوالم الله المذكورة في اللوح المبارك تقع في مراتب متباينة، منها مقام عرش "اللاهوت" وهو "جنة الأحذية" كما وصفه حضرة بهاء الله، وهو أيضا "مقام سر الصمدانية"، و"آنية الأحذية". وهذا المقام لا تدركه حتى المظاهر الإلهية لسمو قداسته. وقد تفضل حضرة بهاء الله في أحد ألواحه قائلا:

"من الأزل الذي لا يعرف، كان الله محتجبا في حقيقة ذاته العليا، وإنه لا يزال مخفيا يكون إلى الأبد في سر جوهره الذي لا يعرف... فقد انصعق عشرات الآلاف من الأنبياء كل كان موسى في سيناء البحث عن صوت الله النهائي (إنك لن تراني) بينما ربوات المرسلين كل كان كالسيح في عظمتهم قاموا على عروشهم المقدسة مرتاعين لصوت المنع (إن كينونتي لن تعرفها)."

ويلي ذلك عرش "اللاهوت" وهو "مقام جنة الصمدية" و"ساحة القدس". وفي آثار حضرة بهاء الله يبدو أن عالم اللاهوت ربما يكون عالم الله بالنسبة إلى مظاهره

وأصفيائه المختارين . وهم في محضره ما ارتأوا لأنفسهم مقاما لأنهم عدم صرف تلقاء وجهه ولا كينونة إلا كينونته وهم في "مقام هو هو وليس أحد إلا هو".

وهناك عالم روحاني آخر وصفه حضرة بهاء الله بـ "طمظام الجبروت"، "جنة الواحدية"، "أرض الصفراء". وهو مقام أنت هو وهو أنت، عباد الذين لا ينطقون إلا بإذن الله ولا يعملون إلا بأمره ولا ينهون إلا بحكمه، كما وصفهم الله بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ويبدو أن هذا العالم هو الملكوت الذي يكون فيه المختارون من خلق الله، بالنسبة إلى المخلوقات، مخولين بسلطته.

هناك الكثير من البيانات المباركة يبين فيها حضرة بهاء الله طبيعة المقام المزدوج للمظاهر الإلهية وأصفياء الله. ففي نسبتهم إلى الله تبدو هذه النفوس المقدسة وكأنها عدم صرف، أما بنسبتهم إلى عالم الخلق فهم حائزون على سائر الصفات الإلهية ومقربون من الله. وكما تفضل حضرة بهاء الله في إحدى مناجاته:

"كلما أنظر إليك أنادي كل الكائنات وأقول إنني أنا الله، وكلما أنظر إلى نفسي أجدها أحقر من الطين."

وفي الآثار الإسلامية نجد مثل هذه البيانات المباركة. فالحديث الشريف التالي عن لسان النبي محمد (ص) يدلل بوضوح على المقام المزدوج لرسول الله بقوله: "لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن وهو هو ونحن نحن".

وعالم آخر من عوالم الله الروحانية هو "مقام الملكوت" أي "مملكة الله" الذي أشار إليه الأنبياء السابقون مرارا، كما أن حضرة بهاء الله وصفه في "لوح كل الطعام" بـ "جنة العدل".

وبمعزل عن هذه العوالم الروحانية الأربعة، أشار حضرته في هذا اللوح إلى عالم "الناسوت" وهو العالم الفاني الذي وصفه بـ "جنة الفضل". وأكد في العديد من ألواحه أن كلا العالمين: عالم المظاهر الإلهية وعالم الإنسان، ظهر في هذا الوجود بالفضل الإلهي وحده، وإذا ما تبدل لحظة ليجري عدله آل الوجود إلى العدم.

وفي "لوح كل الطعام" يصف حضرة بهاء الله معان أخرى لكلمة "طعام" التي وردت في الآية الفرقانية المذكورة. ففي مقام تعني "كل العلوم" وفي آخر "معرفة صاحب الأمر"، كما بين أنها في الدورة الإسلامية يمكن أن تفهم على أنها ولاية أئمة الهدى الذين خلفوا النبي عليه السلام. أما في ظهوره الذي لم يكشف عنه بعد، فقد

وصف الطعام بـ "بحر الغيب الذي هو المكنون في صحائف النور والمخزون في ألواح المسطور".

وفي اللوح أيضا فسّر عبارتي "إسرائيل" و"بني إسرائيل" وأشار إلى القدوس، صاحب المقام الأول بين حروف الحي، على أنه "النقطة الأخرى" وهو لقب يقربه كثيرا من مقام حضرة الباب، "النقطة الأولى"، ولمح من طرف خفي إلى عظمة مقام القدوس.

إن "لوح كل الطعام" الذي استحوذ على مجامع الحاج ميرزا كمال الدين وكُشِف فيه النقاب عن العديد من الأسرار والألغاز، يعد مثالا على ما أنزله حضرة بهاء الله في تلك الحقبة. أما أسلوب كتاباته في السنوات الأولى من ولايته، خاصة ما نزل منها باللغة العربية، فيشبه إلى حد ما الآثار الكتابية لحضرة الباب. وبينما كانت شمس ظهور حضرة بهاء الله في السنين التي تلت هذه الفترة ترتفع لتصل سمتها، اتخذ الأسلوب الكتابي لحضرتة منحى جديدا بلغ ذروة الكمال بنزول "الكتاب الأقدس" فظهر هذا الكتاب ليدل ببلاغة أسلوبه وسلاسة لفظه على ما تمتع به بيان حضرة بهاء الله من الجلال والجمال.

كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ١